

رسالة حي بن يقظان

تأليف: أبو علي ابن سينا

إعداد: أحمد ماجد



حي بن يقظان اسم طالبا ارتبط بالفيلسوف ابن طفيل، حتى ان المرء يخال
إنه من بنات أفكاره، والحقيقة ان «ابن سينا» هو من عمل على بلورة هذه
الشخصية الرمزية، وحملها نزعة الإشراقية، والمعهد الإسلامي للمعارف الحكيمية، إذ
يعيد نشر هذه الرسالة، فهو يهدف الى إظهار قيمتها العلمية والفلسفية الهامة.

وما توفيقي إلا بالله، وإليه أنيب وبعد، فان اصراركم معشر اخوانى على اقتضاء
شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي^(١) في الامتناع وحل عقد عزمي في المماطلة
والدفاع انقدت مس اعدتكم . وبالله التوفيق . انه قد تيسرت حين مقامي ببلادى «برزة»
برفقائي الى بعض المنتزهات المكتنفة^(٢) لتلك البقعة، فبینا نحن نتطاواف اذ عن لنا
شيخ بهي، قد أوغل في السن، وأخذت عليه السنون، وهو في طراء العز، لم يهن منه
عظم، ولا تستضعف له ركن، وما عليه من المشيب إلا رواه من يшиб^(٣) . فنزعنا الى

١ - لجاجي: اصراري.

٢ - معاني الكلمات: المقام الاقامۃ، بلاده: بدنه واعضاوہ التي هل محل قواه، برزة: مشتقة من فعل برز ومعناه
النهضة، الرفقاء: أي قواه العقلية التي هي له في البدن، المنتزهات: هي الأمور البعيدة عن الأحوال التي كان
فيها أي المتعلقة.

الشرح: في الوقت الذي كان يقوم في بدنه مقتضرا عليه، لم ينتبه إلى ملاحظة الأمور الكامنة فيه،
واراد هنا ما يحتاج إلى الاستعانة به من عملتها كالتخيل والوهم، وما قبلها من القوى المدركة من الحواس
الظاهرة والحس المشترك.

٣ - معاني الكلمات: عن: ظهر، أخذت: بكت دون انتساب، طراء: خلاف الذاوي، يهن: يضعف، رواه: نظر فيه
وتقبه ولم يعجل بجواب.

الشرح: (بينما نحن نتطاواف): أي بينما نتوجه من الحركة التعلقية وجولان النفس لطلب المعقولات، (اذ عن
لنا شيخ بهي) أراد به ما يعرض لقوة العقل عند التأمل من هداية العقل الفعال وافتراضه نوره الجميل عليه
(طراء العز) أي لم يغير الزمان حاله كما تغير العناصر لتنزهه (غلا رواه من مشيب) دل على أنه مع بعده
عن النقصان فقد سعد بما يوجبه تقادم العهد في المشايخ من البهجة والبهاء وحب الكمال.

رسالة

❖ رسالة حي بن يقظان

تأليف: أبو علي ابن سينا

إعداد: أحمد ماجد

بحسبه. وان الفراسة لتدل منك على عفو من الخلائق، ومنتقش من الطين^(١)، وموات من الطبائع. وإذا مستك يد الاصلاح أتقنتك، وان خرطوك العلو في سلك الذلة انخرست^(٢)، وحولك هؤلاء الذين لا ييرحون عنك. إنهم لرفقة سوء ولن تقاد تسلم عنهم، وسيفتنونك أو تكتنك عصمة وافرة^(٣). وأما هذا الذي أمامك فباهت مهذار، يلفق الباطل تلفيقاً، ويختلق الزور اختلاقاً، ويأتيك بأنباء ما لم تزوده. قد درن حرقها بالباطل، وضرب صدقها بالكذب، على أنه هو عينك وظليعك، ومن سبيله أن يأتيك بخبر ما غرب عن جنابك، وعزب عن مقامك، وأنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك من باطله، والتقطاط صدقه من زوره، واستخلاص صوابه من غواشي خطئه، اذ لا بد لك منه فربما أخذ التوفيق بيده، ورفعك عن محيط الضلاله، وربما أوقفك التحير، ربما غرك شاهد الزور^(٤)، وهذا الذي يمينك أهوج، اذا انزعج هائجه، لم يقمع النصح، ولم يطأطئه الرفق، كأنه نار في حطب، او سيل في صبب، او قرم مغفل، او سبع شاكل^(٥)، وهذا الذي عن يسارك فقد رشره قرم شبق لا يملأ بطنه إلا التراب، ولا يسد غرثه إلا الرغام، لعقة، لحسنة، طعمة، حرصة، كأنه خنزير أجياع ثم أرسل في الجلة^(٦)، ولقد

مخاطبته، وانبعثت من ذات نفسي لما دخلته، ومجاورته، فملت برفقائي اليه^(٧)، فلما دنونا منه، بدأنا هو بالتحية والسلام، وافتر عن لهجة مقبولة. وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مساءاته عن كنه أحواله، واستعلامه سنه وصناعته بل اسمه، ونسبه، وبيلده^(٨)، فقال: أما اسمي، ونبي، فحي بن يقطان. وأما بلدي فمدينة بيت المقدس، وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العالم حتى أحطت بها خبراً، ووجهه إلى أبي، وهو حي وقد عطوت منه مفاتيح العلوم كلها، فهداني الطريق السالكة إلى نواحي العوالم، حتى زويت بسياحتني آفاق الأقاليم^(٩)، فما زلت نطارحه المسائل ونستفهمه غوامضها حتى تخلصنا إلى علم الفراسة^(١٠)، فرأيت من اصابته فيه ما قضي له آخر العجب، وذلك أنه ابتدأ لما انتهينا إلى خبرها فقال: إن علم الفراسة من العلوم التي تنقد عائدتها نقداً، فيعلن ما يسره كل في سجيته، فيكون تسلطك اليه وتقلصك عنه

(١) معاني الكلمات: نزع: توجه، بعث: خرجت، داصل: بحث معه الأمور كلها.

الشرح: (نزعت إلى مخاطبته وانبعثت... لما دخلته ومجاورته) عندما عرف، المناسبة بين العقل الانساني، وبين العقل الفعال، أدركـتـ إلى ما في طباع العقل بالقوـةـ منـ المـيلـ إـلـىـ الخـروـجـ والـاتـصالـ بـالـعـقـلـ الفـعـالـ،ـ الذيـ يـعـتـبرـ كـمـالـهـ (فـلـتـ بـرـفـقـائـيـ اليـهـ)ـ فأـقـبـلـتـ بـسـائـرـ قـوـايـ فيـ بـادـيـهـ الـأـمـرـ لـخـروـجـ مـنـ القـوـةـ إـلـىـ الفـعلـ.

(٢) معاني الكلمات - دنا: اقترب، أفتر: تكلم بصوت هادي، تنازعنـا: تـبـالـنـاـ،ـ أـفـضـيـ:ـ وـصـلـ،ـ كـهـ:ـ حـقـيـقـتـهـ.

الشرح: (فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية) أي كان الاقبال منا إليه أولاً، لكنه هو الذي بادر إلى القبول، وهذا يعني ان الاستعداد يكون من المنفعل والتكميل يكون من الفاعل (وافتر عن لهجة مقبولة...) واستعلامه بل اسمه ونسبه وبيلده) أي أن قبول العقل الفعال لنا دفعنا إلى معرفة حقيقته الذاتية بالإضافة إلى الامور العرضية له الخاصية به وغير الخاصية.

(٣) معاني الكلمات - زويت: جمعت وطويت.

الشرح: (أما اسمي ونبي فحي بن يقطان) أرادـ منـ الحيـ ماـ يـعـلـقـ بـالـحـسـ وـالـحـرـكـةـ.ـ فـجـعـلـ الحـسـ مـشارـاـ بـهـ إـلـىـ الـعـقـلـيةـ وـجـلـ الـحـرـكـةـ مـشـارـاـ بـهـ إـلـىـ وـجـودـهـ.ـ وـقـلـهـ أـبـنـ يـقطـانـ أـرـادـ بـهـ أـنـ وـجـودـهـ لـيـسـ بـذـاتـهـ بـلـ عـنـ غـيـرـهـ،ـ وـانـ غـيـرـهـ أـجـلـ حـالـهـ مـنـ،ـ اـذـ الـحـيـ يـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ نـائـاـمـ أـوـ أـنـ يـكـونـ يـقطـانـاـ (أـمـاـ بـلـيـ فـمـدـيـنـةـ بـيـتـ المـقـدـسـ)ـ أـرـادـ مـنـ الـبـلـدـ مـاـ يـجـريـ مـنـ الـجـنـسـ وـأـرـادـ مـنـ مـدـيـنـةـ بـيـتـ الـمـقـدـسـ الـعـقـلـيـ المـقـدـسـ عـنـ الدـنـسـ بـاـحـوـالـ الـحـسـيـاتـ (أـمـاـ حـرـفـيـ فـالـسـيـاحـةـ فـيـ أـقـطـارـ الـعـالـمـ)ـ أـيـ أـنـ يـتـعـقـلـ مـاـ بـعـدـهـ مـنـ الـمـوـجـودـاتـ التـابـعـ لـتـعـلـقـهـ لـلـمـبـادـيـهـ الـأـوـلـ وـلـتـقـدـمـ ذـاـهـ (وـوـجـهـهـ إـلـىـ أـبـيـ)ـ حـقـيـقـةـ غـرـضـيـ مـعـرـفـةـ أـبـيـ،ـ الـذـيـ قـصـدـ مـنـ الـحـقـ الـأـوـلـ وـالـعـقـولـ الـفـعـالـةـ هـيـ مـتوـسـطـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـأـوـلـ (اعـطـوـتـ مـفـاتـيـحـ الـعـلـوـ...)ـ أـيـ أـنـ تـعـلـقـهـ لـيـسـ مـنـ ذـاـتـهـ بـلـ مـنـ مـبـدـئـهـ (حتـىـ زـوـيـتـ بـسـيـاحـتـيـ آـفـاقـ الـعـلـوـ)ـ أـيـ اـكـتـفـيـتـ بـهـذـهـ الـهـدـاـيـةـ عـنـ السـيـاحـةـ الـزـمـانـيـةـ كـأـنـ الـمـوـجـودـاتـ كـلـهـاـ جـمـعـتـ لـيـ جـمـعـاـ حـتـىـ عـرـفـهـاـ دـفـعـةـ وـاحـدةـ وـبـشـكـلـ مجـمـلـ،ـ فـاسـتـغـيـتـ بـعـدـ ذـلـكـ عـنـ التـفـصـيلـ.

(٤) الشرح: يريد الكاتب الحديث عن علم المنطق الذي هو معرفة الأمر الخفي الغير معلوم من أحوال الشيء، بتوصيف أشياء ظاهرة من أحواله، والذي هو كذلك الأمر الذي يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات إلى أشياء خفية هي المطلوبات والناتج.

(١) هذه العبارة اشارة الى ما يحصل للانسان بقوـةـ هـذـهـ الـعـلـمـ منـ تـبـيـيـزـ الصـدـقـ عـنـ الـكـذـبـ وكـذـلـكـ يـرـيدـ مـنـهـ الـحـدـيـثـ عـنـ قـاـبـلـيـةـ الـإـنـسـانـ لـمـعـارـفـ الـعـلـمـ وـالـتـهـيـءـ لـاـكـتـسـابـ الـاخـلـاقـ الـحـمـيدـةـ.

(٢) تقيـدـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ:ـ اـنـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ حـدـيـثـاـ السـابـقـ،ـ فـالـإـنـسـانـ مـسـتـعـدـ لـلـرـذـائـلـ،ـ وـذـلـكـ بـدـوـاعـيـ الـعـادـاتـ وـالـأـفـالـ.

(٣) (وحـولـكـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ لـاـ يـرـحـونـ عـنـ اـنـهـ لـرـفـقـةـ سـوـءـ وـلـنـ تـكـادـ تـسـلـمـ عـنـ هـمـمـ وـسـيـفـتـونـكـ)ـ يـشـيرـ هـنـاـ إـلـىـ الـقـوـىـ الـبـدـنـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـفـارـقـ الـقـوـىـ الـعـقـلـيـةـ (تـكـنـكـ عـصـمـةـ وـافـرـةـ)ـ وـهـيـ الـقـوـةـ الـمـسـتـجـدـةـ الـتـيـ تـقـمـعـ الـقـوـةـ الـبـدـنـيـةـ وـهـيـ قـوـةـ الـحـكـمـ الـعـلـمـيـةـ وـالـقـوـةـ الـعـمـلـيـةـ.

(٤) معاني الكلمات - مهذار: مستهزئ، لفـقـ: جـمـعـ، درـنـ: مـرـيـضـ، عـزـبـ: ضـلـ.

الـشـرـحـ:ـ (هـذـاـ الـذـيـ أـمـامـكـ فـبـاهـتـ مـهـذـارـ يـلـفـقـ الـبـاطـلـ تـلـفـيـقاـ...)ـ اـشـارـةـ إـلـىـ قـوـةـ التـخـيلـ،ـ هـذـهـ الـقـوـةـ الـمـجـبـولـةـ عـلـىـ تـشـيـيـهـ الشـيـءـ بـالـشـيـءـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـشـبـهـ،ـ وـدـلـ بـقـوـلـهـ (أـنـ عـيـنـكـ وـظـلـيـعـكـ)ـ عـلـىـ الـحـسـ الـمـشـترـكـ،ـ وـهـوـ الـقـوـةـ الـتـيـ تـنـادـيـ إـلـيـهـ الـمـحـسـوـسـاتـ كـلـهـاـ الـذـيـ كـأـنـ هـوـ وـهـذـهـ الـقـوـةـ بـالـحـقـيـقـةـ عـيـنـ وـجـاسـوسـ وـطـلـيـعـةـ لـلـنـفـسـ تـأـتـيـهـ بـعـبـرـ (مـاـ غـرـبـ عـنـ جـنـابـكـ وـعـزـبـ عـنـ مـقـامـكـ)ـ الـذـيـ يـعـنـيـ الـمـحـسـوـسـاتـ وـاـحـوـالـهـاـ اـنـ كـانـ بـعـيـدـةـ عـنـ الـقـوـةـ الـعـقـلـيـةـ.

(٥) معاني الكلمات - صـبـ: سـيـلـانـ المـاءـ أـوـ الدـمـ، مـغـفـلـ: شـدـيدـ، ثـاـكـلـ: ثـائـرـ.

الـشـرـحـ:ـ اـشـارـةـ إـلـىـ الـقـوـةـ الـغـضـبـيـةـ الـتـيـ تـنـدـفـعـ كـالـلـبـوـةـ الـتـيـ فـقـدـتـ أـلـوـادـهـ فـلـاـ يـقاـومـهـ مـقـاـوـمـ.

(٦) معاني الكلمات - قـرـمـ:ـ شـدـيدـ الشـهـوـةـ،ـ غـرـثـ:ـ جـائـ،ـ الرـغـامـ:ـ التـرـابـ،ـ لـعـقـةـ،ـ لـحـسـنـةـ،ـ طـعـمـةـ:ـ الـجـهـةـ الـتـيـ مـنـهـاـ يـرـتـقـ وـيـكـسـبـ،ـ حـرـصـةـ:ـ الـخـرـقـ فـيـ الـثـوبـ،ـ أـجـيـعـ:ـ جـائـعـةـ،ـ الـجـلـةـ:ـ الـبـرـةـ.

الـشـرـحـ:ـ اـشـارـةـ إـلـىـ الـقـوـةـ الـشـهـوـانـيـةـ وـوـصـفـهـاـ بـمـاـ طـبـعـتـ عـلـيـهـ مـنـ الـقـدـارـةـ وـالـشـبـقـ.

أن تتولى براءتك منهم، فرجع بنا الحديث إلى مسأله عن إقليم إقليل مما أحاط بعلمه، ووقف عليه خبره، فقال لي: إن حدود الأرض ثلاثة: حد يحوزه الخاقان^(١) وقد أدرك كنهه وترامت به الأخبار الجليلة المتواترة والغريبة يجل ما يحتوى عليه. وحدان غريبان^(٢). حد المغرب، وحد قبل المشرق ولكل واحد منهما^(٣) صقع قد ضرب بينهما وبين عالم البشر حد محجور لن يعود إلا الخواص منهم المكتسبون منه لم يتأت للبشر^(٤) بالفطرة. وما يفيدها الاغتسال بعين حرارة في جوار عين الحيوان الراكدة إذا هُدِيَ إليها السائح فتطهر بها وشرب من فراتها سرت في جواره منه مبتداة، يقوى بها على قطع تلك المهام، ولم يترسب في البحر المحيط، ولم يكاد جبل قاف، ولم تدهدهه الزبانية مدهدهة إلى الهاوية، فاستزدناه شرح هذا العين، فقال: سيكون قد بلغكم حال الظلمات المقيمة بناحية القطب، فلا يستطيع عليها الشارق في كل سنة إلى أجل مسمى أنه من خاضها، ولم يحجم عنها أفضى غير محدود قد شُحِنَ نوراً فيعرض له أول شيء عين^(٥) حرارة تمد نهراً على^(٦) البرزخ. من اغتسل منها خف على الماء فلم يرجحن إلى الغرق، وتقسم لك الشواهد غير منصب^(٧) حتى تخلص إلى أحد الحدين المنقطع عنهما، فاستخبرناه عن الحد الغربي لمصادقة بلادنا إياه، قال: إن بأقصى المغرب بحراً كبيراً حاملاً قد سمي في الكتاب الإلهي عيناً^(٨) حامثةً. وإن الشمس تغرب من تلائها، وممد هذا البحر من إقليم غامرات التحديد رحبه لا عمار

الصقت يا مسكين بهؤلاء الصاق، لا ييريك عنهم إلا غرية تأخذك إلى بلاد لم يطأها أمثالهم، واذ لات حين تلك الغرية، ولا محيسن لك عنهم، فلتطلهم يدك، ولি�غلبهم سلطانك، واياك أن تقبضهم زمامك، أو تسهل لهم قيادك، بل استظره عليهم بحسن الآيالة، وسمهم سوم الاعتدال، فانك ان متنت لهم، سخرتهم ولم يسخرون، وركبهم ولم يركبوك^(٩)، ومن توافق حيلك فيهم أن تتسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم، تزيره زيراً فتكسره كسراً. وان تستدرج غلواء هذا النائه العسر بخلافة هذا الأرعن الملك فتحفظه حفظاً^(١٠)، وأما هذا المموه المتحرص، فلا تحتاج إليه أو يأتيك موثقاً من الله غليظاً فهناك صدقه تصديقاً، ولا تحجم عن اصاحة اليه: لما ينهيه اليك وان خلط فانك لن تعدم من انبئه ما هو جدير باستثنائه وتحققه^(١١)، فلما وصل لي هؤلاء الرفقه، وجدت قبولي مبادراً إلى تصديق ما قرفهم به، فلما استأنفت في امتحانهم طريقة المعتبر، صحق المختبر منهم الخبر عنهم، وأنا في مزاولتهم، ومقاساتهم. فتارة لي اليد عليها وتارة لها علي. والله تعالى المستعان على حسن مجاورته هذه الرفقه إلى حين الفرقه^(١٢)، ثم إني استهديت هذا الشيخ سبيل السياحة استهداء حريص عليها، مشوق إليها فقال: إنك ومن هو بسبيلك من مثل سياحتي لمصدود وبسبيله عليك وعليه مسدود^(١٣)، أو يسعدك التفرد وله لذلك موعد مضروب، لن تسبقه فاقنع بسياحة مدخلولة بإقامة تسيج حيناً، وتخالط هؤلاء حيناً، فمتى تجردت للسياحة بكنه نشاطك، وافتاك وقطعتهم. وإذا حنت نحوهم انقلب إليهم، وقطعتني حتى يأتي لك

(١) مدخلولة: فاسدة من الدخل، يحوزه: يجمعه، الخاقان: المشرق والمغرب.

الشرح: يريد القول أن التعقل يجب أن يكون خالصاً من شوب التخييل والحس، وبالتالي إذا صحبتي كنت مرفقاً لي، وإذا انقطعت كنت مصاحباً لقوى البدن، وسيبقى هذا دأبك إلى حين انفرادك منها بالليلة وذلك يكون بعد الموت وفارقة النفس البدن.

(٢) أي المركبات المحسوسة في عالي الأرض والسماء وهي التي يجمعها الخاقان اللذان لهما الأرض والسماء.

(٣) أي الهيولي والصورة أما ما وراء المغرب فالهيولي وأما الذي من قبل المشرق فالصورة.

(٤) أي لكل من الهيولي والصورة كنه وحقيقة قد ضرب بينهما وبين عالم البشر حدًّا من نوع عليها الوصول إليها.

(٥) معاني الكلمات - فراتها: الماء العذب، كأد: التنفس الشديد من التعب دهدهه: درج.

الشرح: أي لم يؤت الإنسان بالفطرة والطبع دون اكتساب.

(٦) أي علم المنطق.

(٧) يصيرا مددأً للعقل الهيولي المستعد للمعارف ومددة الماء استفادته من الحس في الأولويات والمعقولات.

(٨) بلغ درجة في علم المنطق، خولته ان يطلع على الحقائق من غير تعب بالحقه ولا نسب يرده عن وجهه، فهو ينظر في الحقائق وكنه الموجودات فيلاحظ منها أول شيء من الهيولي والصورة.

(١) معاني الكلمات - الآيالة: حكم ولاية ما، سوم: حكمك فيه.

الشرح: في هذه العبارة يشدد على ضرورة سيطرة القوة العقلية على البدن.

(٢) معاني الكلمات - الشكس: سيء الأخلاق، الزعر: قل الخير، زير: ترميم بالحجارة.

الشرح: أراد به أن وجه تدبيرك حتى تصل إلى هدفك، ان تستعين بالقوة الغضبية لسيطرة على القوة الشهوانية فتكسر بها شوكتها، وان تستعين بالقوة الشهوانية على ابطال القوة الغضبية فتحضر لك خضوعاً وتسكين لتدبيرك.

(٣) وأشار الكاتب إلى الطريق الذي يجب أن يسلكه في تدبير القوة المتخيلة للوصول إلى السلامه وذلك بأن لا يتق بها كل الثقة، حتى تصير بحيث تميز صدقها من كذبها بوضعك قانوناً ترجع اليه في ذلك وميزاناً تزن به احوالها.

(٤) الشرح: أراد من العبارة السابقة لما تأملت آحوال هذه القوى وجدتها موافقة لما وصفها به فازدت بما شرحه من احوالها نصرة وامتنت امره فيما اهداي اليه من تدبير امرها.

(٥) اي عندما وجدت العقل على هذا الكمال، وانه منبع العلوم والمعارف، حرصت على سلوك سبيله، واقتباس العلم منه، ففرزعت اليه ليهديني السبيل السوي.

له إلا غرباء، يطروون عليه والظلمة معتكفة^(١) على أديمه وإنما ين محل المهاجرون إليه لمعه^(٢) نور، مهما جنحت الشمس للوجوب، وأرضه سبخة كلما أهلت بعمار نبت لهم فابتني بها آخرون، يعمرون فينهار، ويبنون فينهال. وقد أقام الشجار بين أهله، بل القتال، فأينما طائفة عزت استولت على عقر ديار الآخرين، وفرضت عليهم الجلاء، تبتغي قراراً لا يستخلص إلا خسارة^(٣) وهذا ديدنهم^(٤) لا يفترون، وقد تطوق هذا الإقليم كل حيوان ونبات؛ ولكنها إذا استقرت به ورعته، وشربت من مائه غشيه غواش غريبة^(٥) من صورها فترى الإنسان فيها قد جلَّ مسك بهيمة ونبت عليه أثيث من العشب، وكذلك حال كل جنس آخر فهذا إقليم خراب، سبخ مشحون بالفتنة، والهيج، والخصام، والهرج. يستغير البهجة من مكان بعيد. وبين هذا الإقليم، وإقليمكم أقاليم أخرى^(٦) لكن وراء هذا الإقليم مما يلي محطة أركان السماء إقليم شبيه به في أمور^(٧) منها: أنه صفصاف غير أهل إلا من غرباء وأغلى. ومنها أنه يسترق النور من شعب غريب، وإن كان أقرب إلى كوة النور من المذكور قبله^(٨) ومن ذلك أنه مرسى قواعد السماويات، كما أن الذي قبله مرسى قواعد هذه الأرض، ومستقر لها، لكن العمارة في هذا الإقليم مستقرة لا مغاضبة بين واردها للمحاط. ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليهم غيرهم^(٩) غالباً، فأقرب معامره بنا بقعة سكانها أمة صغار الجثث، حيث

(١) آراء من قوله الحديث عن الهيولى ومصير الصورة إليها وملابستها أيها.

(٢) أي أنه من أقاليم واسع مشتمل على أصناف المكونات والاستقصارات التي منها تتركب الكائنات، والصورة طارئة عليها من موضع آخر بعيد من موطن الهيولى إذ من حق الهيولى أن تكون بلا صورة، فهناك تكون الظلمة معتكفة أي مستولية، والصورة نور من وابها.

(٣) معاني كلمات - سبخة: الأرض ذات النز والملح.

الشرح: إن هيولى هذه الكائنات لا تستقر فيها الصور كما لا ينبع في الأرض السبخة، فهي من شأنها أن تتعاقب عليها الصور دون أن تستقر فيها بل تستبدلها بشكل دائم.

(٤) أي هذا من طبائعها.

(٥) أي اعراض تلزمها بسبب الهيولى.

(٦) أي ان الصورة الإنسانية إذا حصلت في المادة اقتربت بها أعراض غريبة ولا يختص بها تشكل دون آخر ولا قدر دون آخر ولا وضع دون آخر وهو يشمل كل الأنواع.

(٧) أراد بالأقاليم، الأنواع المعدنية، والنباتية، والحيوانية، وإقليمكم النوع الإنساني.

(٨) يزيد منها الأجرام السماوية التي أقر بها فلك القمر وآخرها الفلك التاسع. وفوقه أقاليم آخر هو علة العلل، وهو الله تعالى. وطبيعته مبنية لطبيعة الكون والفساد.

(٩) أي معدن النور الذي هو الأمر العقلي، الذي يأتي منه بالجملة النور إلى هذه الأجرام السماوية بلا واسطة ويأتي منه إلى الكائنات الفاسدة بتوسط السماوية.

الحركات. ومدنها ثمانى^(١) مدن ويتوها مملكة أهلها أصغر جثثاً من هؤلاء. وأثقل حركات، يلهجون بالكتابة، والنجوم، والنيرنجات، والطلسمات والصناعات الدقيقة، والأعمال العميقه مدنها^(٢) تسعة، ويتوها وراءها مملكة أهلها متعمدون بالصباحة، مولعون بالقصف والطرب، مبرئون من الغموم، لطاف لتعاطي المزاهر، مستكثرون من ألوانها. تقوم عليها امرأة قد طبعوا على الإحسان والخير. فإذا ذكر الشر اشماروا عنه. ومدنها ثمانى^(٣). ويتوها مملكة قد زيد لسكنها بسطة في الجسم، وروعة في الحسن، ومن خصالهم أن مفارقتهم من بعيد عزيزة الجدوى، ومقاربتهم مؤذية. ومدنها خمس مدن^(٤). ويتوها مملكة تأوى إليها أمة يفسدون في الأرض، حبب إليهم الفتاك، والسفك، والاغتيال، والمثل مع طرب، ولوه يملكون أشقر مغزى النكب والقتل والضرب. وقد فتن كما يزعم رواة أخبارها بملكة الحسنى المذكور أمرها قد شغفته حباً ومدنها سبع مدن^(٥). ويتوها مملكة عظيمة أهلها غالون في العفة، والعدالة، والحكمة، والتقوى، وتجهيز جهاز الخير إلى كل قطر، واعتقاد الشفقة على كل من دنا، وبعد، وبذل المعروف إلى من علم وجهل. وقد جسم حظهم من الجمال والبهاء ومدنها سبع مدن^(٦) ويتوها مملكة كبيرة يسكنها أمة غامضة الفكر، مولعة بالشر، فإن جنحت للإصلاح أنت نهاية التأكيد. وإذا وقعت بطائفة لم تطرقها طرائق متھور؛ بل توختها بسيرة الدهاىي المنكر، لا تعجل فيما تعمل ولا تعتمد غير الآنة فيما تأتى وتذر، ومدنها سبع مدن^(٧) ويتوها مملكة كبيرة منتزحة الأقطار^(٨)، كثيرة العمار، بقعة لا يتمدنون، إنما قرارهم قاع صفصاف، مفصول باثنى عشر حداً فيها ثمانية وعشرون محطاً لا

(١) أي فلك القمر، وسكناه، وقد وصفه بصغر الجثة لأنه أصغر من الأرض، وهنا قسم فلك القمر بموجب ما وجد له من الحركات.

(٢) معاني الكلمات: القصف: أقام في اللهو والأكل والشرب، مبرأون: سليمون من العيب.

الشرح: يشير به إلى فلك عطارد، والأوصاف التي قدمها هي المتعارف عليها عند مذهب أصحاب النجوم.

(٣) فلك الزهر، ووصفته بهذه الأوصاف أيضاً على مذهب أصحاب النجوم.

(٤) فلك الشمس، ووصفها بأنها اوتيت بسطة الجسم لأنها عظيمة المقدار.

(٥) فلك المريخ.

(٦) فلك المشتري.

(٧) فلك زحل.

(٨) الكواكب الثابتة.

(٩) اشارة الى الكواكب الثابتة ومقدار بعدها التي لا تعرف عددها ولا تصل قوة البشر إلى تحصيلها.

تخرج طبقة منهم إلى محطة طبقة إلا إذا خلا من أمامها عن دورهم فسار عنه إلى خلافها^(١) وإن أمم المالك التي قبلها لتسافر إليها وتتردد فيها، ويليها مملكة لم يدرك أفقها إلى هذا الزمان^(٢) لا مدن فيها، ولا كور، ولا يأوي إليها من يدركه البصر. وعمارها الروحانيون من الملائكة لا ينزلها البشر. ومنها ينزل على من يليها الأمر والقدر^(٣) وليس وراءها من الأرض معمور. فهذهان الإقليمان بهما يتصل الأرضون والسموات ذات اليسار من العالم التي هي المغرب فإذا توجهت منها تلقاء المشرق رفع لك إقليم لا يعمره بشر بل ولا نجم، ولا شجر، ولا حجر، إنما هو بر رحب وبم غمر^(٤) ورياح محبوسة، ونار مشبوبة. وتجوزه إلى إقليم تلقاء فيه جبال راسية، وأنهار. ورياح مرسلة، وغيوم هاطلة، وتتجدد فيها العقيان، واللجن، والجواهر الشمينة والوضيعة. أجناسها وأنواعها. إلا أنه لا نابت فيه، ويوذيك عبوره إلى إقليم مشحون بما خلا ذكره إلى ما فيه من أصناف النبات نجمة، وشجرة مثمرة، وغير مثمرة، محبة ومبرزة لا تجد فيه من يضيء ويضفر من الحيوان، وتعدها إلى إقليم يجتمع لك ما سلف ذكره إلى أنواع الحيوانات العجم سابقها، وزاحفها، ودارجها، ومدومها، ومتولداتها، إلا أنه لا أن sis فيه، وتخلاص عنه إلى عالمكم هذا، وقد دللتم على ما يشتمله عياناً، وسماعاً. فإذا قطعت سمت المشرق، وجدت الشمس تطلع بين قرني الشيطان. فإن للشيطان قرنين؛ قرن يطير وقرن يسير^(٥) والأمة السيارة منها قبيلتان؛ قبيلة في خلق السبع، وقبيلة في

خلق البهائم^(٦) وبينهما شجار قام، وهما جمياً ذات اليسار من المشرق، وأما الشياطين التي تطير فإن نواحيها ذات اليمين من المشرق^(٧) لا تنحصر في جنس من الخلق، بل يكاد يختص كل شخص منها بصيغة نادرة؛ فمنها خلق مس في خلقين، أو ثلاثة، أو أربعة، كإنسان يطير، وأفعوان له رأس خنزير. ومنها خلق هو خداع من خلق؛ مثل شخص هو نصف إنسان، وشخص هو فرد رجل إنسان، وشخص هو كف إنسان، أو غير ذلك من الحيوان. ولا يبعد أن يكون التماضيل المختلطة التي يرقصها المصورون منقوله من ذلك الإقليم، والذي يغلب على أمر هذا الإقليم^(٨) قد رتب سكناً خمساً للبريد^(٩) جعلها أيضاً مسالح لملكته. فهناك يختطف من يستهوي من سكان هذا العالم ويستثبت الأخبار المنتهية منه ويسلم من يستهوي إلى قيم على الخمسة مرصد بباب الإقليم ومعهم الأنباء في كتاب مطوى مختوم لا يطلع عليه القيم. إنما له وعليه أن يوصل جميعه إلى خازن يعرضه على الملك^(١٠) وأما الأسرى فيتكلفهم هذا الخازن^(١١) وأما آلاتها فيستحفظها خازن^(١٢) آخر وكلما استأثروا من عالمكم^(١٣) أصنافاً من الناس والحيوان وغيره، تناسلوا على صورهم مزاجاً منها وإخراجاً إليها. ومن هذين القرنين من يسافر إلى إقليمكم هذا، فيغشى الناس في الأنفاس حتى تخلص إلى السويداء من القلوب، فأما القرن الذي في صورة السبع من القرنين السياريدين، فإنه يتربص بالإنسان طروا أذى معتبراً عليه فيسفره ويزين له سوء العمل، من القتل، والمثل، والإيحاش، والإيذاء فيربى الجور في النفس ويعيث، على الظلم، والغشم^(١٤) وأما القرن

(١) أشار بهذا إلى منطقة هذا الفلك التي تسمى تلك البروج، وقد قسموه إلى اثنى عشر قسماً يسمى كل قسم منها باسم، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والبيزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. وجعلها محطة إذا كان مقدار سير كل منها يقدر لا يتعاد، وابعاد ما بينها ثابتة لا تتغير.

(٢) أشار إلى الفلك التاسع المسمى المستقيم، الذي لم يعرف مقدار جرم هذا الفلك لأنه لا يوجد سبيلاً إلى معرفة ذلك لخلوه من الكوكب.

(٣) أي أمر الله الذي هو الأمر المطلق وقدره الذي هو موجب القضاء والحمية، ينزل على سائر الموجودات بتوسط هذا الفلك ونفسه وعقله.

(٤) يشير إلى الفلك العاشر الذي هو علة العلل وهو الذي له الأمر المطلق، وقدره ينزل إلى سائر الموجودات. ويشير بما يأتي إلى فناء الأجسام عنده، لا خلاء ولا ملء. بل عنده تقطيع الأجسام، وسطحه ينتهي إلى لا شيء. وهذا النظام هو الذي كانت تجري عليه فلسفة اليونان وفلسفة العصور الوسطى كلها.

(٥) أراد بالقرن الذي يطير القوى المدركة في الإنسان، والقرن الذي يسير القوى المحركة له، وشبه الإدراك بالطيران لشدة حركته والوصول بها إلى الأشياء البعيدة. وشبه المحركة بالسير ليطئها، والوصول بها إلى الأشياء القريبة.

(١) يشير بهما إلى القوة الغضبية والقوة الشهوانية.

(٢) هذه هي القوة المتخيلة.

(٣) أراد به النفس الإنسانية.

(٤) هي الحواس الخمس.

(٥) أراد بالملك النفس الذي عليه أن يدرك الجميع أي يصير من الحس المشترك إلى القوة الحافظة وأراد بالخازن القوة الحافظة.

(٦) أي أن الصورة المحسوسة تتکلف بها هذه القوة الحافظة التي تسمى الخيالية.

(٧) أي إلى القوة الوهمية أولًا ثم الذاكرة.

(٨) يزيد من هذا القول المحاكاة والتركيب والتفصيل على حسب ما كان معروفاً قديماً من علم النفس.

(٩) يعني أن القوة الغضبية التي في خلق السبع تستولي على النفس، وتعتها على العمل الغضبي عند لحوق مكرره ومؤذى بها فيحركها نحو رفع ذلك من أنفسها أما بجور أو قتل أو إيذاء وبالجملة بنوع من أنواع ما يستترع به الشر والمكر والأذى ثم انها بما تجاوزت الحد في ذلك فيبعث على الظلم والغشم.

قرم، أو غلمة، أو ظلم، أو حسد، أو كسل؛ قد وكلوا بعمارة ريض هذه المملكة ووقفوا عليه؛
وهم حاضرة، متمدنون، يأوغون إلى قصور مشيدة وأبنية سرية، تنوف في عجن طينتها
حتى انعجن ما لا يشكل طينة إقليمكم^(١) وإنه لأجلد من الزجاج، والياقوت وسائر ما
يستبطأ أمد بلائه وقد أملى لهم في أعمارهم، وأنسى في آجالهم، فلا يحرمون دون
أبعد الآماد، ووتيرتهم عمارة الريض طائعين. وبعد هؤلاء أمة أشد اختلاطاً بملكهم،
مصررون على خدمة المجلس بالمثلول؛ وقد صنعوا فلم يتبدلوا بالاعتمال^(٢) واستخلصوا
للقربى، وتمكنوا من رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله، ومتعموا بالنظر إلى وجه
الملك وصالاً لا فصال فيه، وحلوا تحليلاً اللطف في الشمائل، والحسن، والثقافة في
الأذهان، والنهاية في الإشارات، والرواء الباهر، والحسن الرائع، والهيئة البالغة، وضرب
لكل واحد منهم حد محدود، ومقام معلوم، ودرجة مفروضة لا ينافع فيها، ولا يشارك.
فكل من عداه يرتفع عنه، أو يسمح نفساً بالقصور دونه، وأدناهم منزلة من الملك؛ واحد
هو أبوهم، وهم أولاده وحفيته^(٣). وعنهم يصدر إليهم خطاب الملك ومرسومه ومن غرائب
أحوالهم أن طبائعهم لا تستعجل بهم إلى الشيب والهرم، وأن الوالد منهم وإن كان أقدم
مدة فهو أسبغ منه، وأشد بهجة، وكلهم مسخرون؛ قد كفوا الاكتفاء، والملك أبعدهم في
ذلك مذهبًا ومن عزاه إلى عرق فقد زل^(٤) ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى. قد فات
قدر الوصف عن وصفه، وحدت عن سبيله الأمثال، فلا يستطيع ضاربها إلا بتباين
أعضائه؛ بل كله لحسنه وجه وجوده يد^(٥) يعفى حسنـه آثارـ كل حسن، ويحقرـ كرمـه
نفاسـةـ كلـ كـرمـ. ومتىـ هـمـ بـتأـمـلـهـ أحـدـ مـنـ الـحـافـيـنـ حـوـلـ بـسـاطـهـ غـضـ الـدـهـشـ طـرـفـهـ فـآـبـ
حسـيـراـ يـكـادـ بـصـرـهـ يـخـتـطـفـ قـبـلـ النـظـرـ إـلـيـهـ، وـكـانـ حـسـنـهـ حـجـابـ حـسـنـهـ، وـكـانـ ظـهـورـهـ
سـبـبـ بـطـوـنـهـ، وـكـانـ تـجـلـيـهـ سـبـبـ خـطـائـهـ، كـالـشـمـسـ لـوـ اـنـتـقـبـتـ يـسـيـراـ لـاستـعـلـنـتـ كـثـيـراـ فـلـماـ
أـمـعـنـتـ فـيـ التـجـلـيـ اـحـتـجـبـتـ، وـكـانـ نـورـهـ حـجـابـ نـورـهـ. وـإـنـ هـذـاـ الـمـلـكـ مـطـلـعـ عـلـىـ ذـوـيـهـ
بـهـاءـهـ؛ لـاـ يـضـنـ عـلـيـهـ بـلـقـائـهـ. وـإـنـماـ يـؤـتـونـ مـنـ دـنـوـ قـوـاهـمـ دـوـنـ مـلاـحظـتـهـ. وـإـنـ لـسـمـحـ

الآخر منها فلا يزال ينادي بالإنسان، بتحسين الفحشاء، من الفعل والمنكر من العمل والفحشاء إليه، وتسويقه إليه، وتحريضه عليه قد ركب ظهر اللجاج، واعتمد على الإلحاد حتى يجره إليه جراً^(١) وأما القرن الطيارة فإنما يسوق له التكذيب بما لا يرى ويصور لديه حسن العبادة لمطبوع والمصنوع، ويتساود سر الإنسان أن لا نشأة أخرى، ولا عاقبة للسواء والحسنى ولا قيوم على الملكوت^(٢) وإن من القرنين لطوابئ تصايب حدود إقليم وراء إقليمكم، تعمره الملائكة الأرضية تُهدى بهدى الملائكة قد نزعت عن غواية المرأة وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين^(٣) فأولئك إذا خالطوا الناس، لم يعيشو، ولا يضلواهم، ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم. وهي جن وحن^(٤) ومن حصل وراء هذا الإقليم وغل في أقاليم الملائكة، فالمتصل منها بالأرض إقليم سكته الملائكة الأرضيون، وإذا هم طبقتان طبقة ذات اليمونة، وهي عالمة أمارة وطبقة تحاذيها ذات المسيرة؛ وهي مؤتمرة عمالة والطبقتان تهبطان إلى أقاليم الجن والإنس هوياً، وتمعنان في السماء رقياً. ويقال: إن الحفظة الكرام والكتابين منها^(٥) وإن القاعد مرصد اليمين من الأمارة وإليه الإملاء^(٦) والقاعد مرصد اليسار من العمالة وإليه الكتاب^(٧) ومن وجد له إلى عبور هذا الإقليم سبيل خلص إلى ما وراء السماء خلوصاً، فلمح ذرية الخلق الأقدم. ولهم ملك واحد مطاع. فأول حدوده معمور بخدم لملائكة الأعظم؛ عاكفين على العمل المقرب إليه زلفي^(٨) وهو أمة بررة لا تحبب داعية لهم، أو

(١) أي ان القوة الشهوانية تتحرك الى ملذ و منتهى لها من مطعم أو منكر، ثم انها ربما تجاوزت الحد في ذلك فتبعث على ركوب الفحشاء والمنكر.

(٢) ان القوة المتخيلة وان اذعنت لآثبات مبدأ أول وخلق معبد هانما تثبت على أنه جسم صناعي كصنم وتمثل على ما يعتقده عبد الكواكب والأنسان، هذا ويلقى في بال الإنسان ان لا نشأة أخرى ولا بقاء للنفس أي هي منكرة للمدبر العالم الذي هو قائم بذاته غير المحاج إلى موضوع في قوامه وإلى سبب في وجوده.

(٣) يعني بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للمعقول فالملاك الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية التي انقادت لمشورة العقل وتخلىت بأخلاق مرضية.

(٤) أراد بالحق القوة المتعلقة من الحواس.
(٥) أراد به التفوس الناطقة الإنسانية. أي إذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدنية انتهيتك في النظر إلى رؤية الملائكة.

(٦) أراد بالحفظة الكرام الكاتبين قوة العقل من قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تتعلمون «
وذلك لأن العقل هو الذي يحفظ الإنسان ويكتب أموره.

بررة منزهة عن القوى الأرضية والفضبية والشهوانية.

(١) أي ليست هي مجردة عن المادة كل التجريد، بلا ملابسون له على نوع من الملابسة. قوله يأوون إلى قصور، هي صور الأفلاك التي شبهها في علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة.

(٢) أشار به إلى العقول المفارقة للمادة أصلًا.

(٣) ي يريد به العقل الفعال الأول. وسماه أباً لهم إذ كان وجود ما سواه منه.

(٤) يشير بذلك إلى أن من انتسب إلى أصل من مادة أو صورة أو فاعل

(٥) أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ وَلَا مَعْنَى، وَلَا مَقْدَارًا، لَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ

(٢) يشير بذلك إلى أن من الممكن أن تصل إلى ملائكة الله أو صوره أو تأثر أو تدعى في سداد راح عن الحق.

(٥) اي انه لا يقسم على وجه من الوجوه ولا معنى ولا مقدارا، لانه واحد من كل جهة.

